



المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية السياحة والآثار

مقرر نظريات في علم الآثار

لويس بنفورد

رائد علم الآثار الحديث

اشراف الدكتور :

د. أز هري مصطفى صادق

تقديم الطالبة :

هدى صالح البليهي

432202641



ولد لويس بنفورد في 21 نوفمبر 1931م في نورفولك في ولاية فرجينيا كان الطفل الوحيد لوالديه، والده جوزيف لويس بينفورد كان يعمل كهربائي في احد مناجم الفحم ، اما والدته أولين روبرت بينفورد كانت من عائلة تنتمي للطبقة الراقية في ولاية فيرجينيا ، في الوقت الذي ولد فيه لويس كانت عائلته قد خسرت معظم مدخراتها المالية بسبب ازمة الكساد العظيم في تلك الفترة.

في عام 1952م انضم بينفورد للجيش وذلك من اجل الحصول المنحة الدراسية التي كان يقدمها الجيش لجنوده بعد انتهاء خدمتهم في الجيش ، خلال عمله في الجيش ذهب للعمل في قاعدة اوكليناوا- اليابان مما وفر له فرصة رائعة للتعرف على ثقافة مختلفة عنه.

بعد انتهاء خدمته في الجيش عام 1954م حصل بينفورد على منحة دراسية من الجيش، لذا انضم لجامعة كارولينا الشمالية و حصل منها على شهادة البكالوريوس في الأنثروبولوجيا. ثم حصل على شهادة البكالوريوس الثانية في علم الآثار من نفس الجامعة. بعدها انتقل الى جامعة ميشيغان للحصول على شهادة الماجستير والدكتوراه. حصل بينفورد على اول منصب اكايمي في جامعة ميتشغان حيث قام بالتدريس فيها لعدد من المواد في علم الآثار ونشر في تلك الفترة العديد من المقالات والبحوث لتطوير ادوات واساليب البحث في علم الآثار.

في عام 1966م وخلال اجتماع الجمعية الأمريكية لعلم الآثار ، قدم بينفورد ورقته البحثية تحت عنوان " الرؤية الجديدة لعلم الآثار " . وقد ادى ذلك البحث الى زيادة التوتر بينه وبين علماء الآثار في جامعة ميتشغان مما اضطره للاستقالة من الجامعة. بعدها انتقل الى جامعة كاليفورنيا - سانتا باربرا حيث عمل فيها لمدة سنة واحدة ، لينتقل بعدها الى جامعة كاليفورنيا- لوس انجليس لكنه لم يجد فيها الجو الملائم للعمل، لينتقل في عام 1969م الى جامعة نيومكسيكو ، وقد عمل فيها 23 عاماً، ثم أنظم الي كلية الجامعة الميثودية الجنوبية عام 1991م الى أن تقاعد من الجامعة الميثودية عام 2003م ،وانتقل بعد التقاعد للعيش في منزله في كيركسفل في ولاية ميزوري وتوفي في منزله في كيركسفل في 11 ابريل 2011 عن عمر يناهز 79 عاماً.

لمع نجم الدكتور لويس بنفورد في سماء علم الآثار الامريكي الجديد فهو يعتبر من ابرز مؤسسي علم الآثار الحديث او علم الآثار الاجرائي الذي ظهر في العقد السابع من القرن العشرين ويمكن وصفه بأنه الأكثر تأثيراً في جيله.

تأثر لويس بنفورد بأستاذه ليزلي وايت الذي كان مشرفاً له في رسالة الدكتوراه، وقد كان ليزلي وايت (1900-1975) من أهم المساهمين في مدرسة التطورية الجديدة التي تعاملت مع تطور المجتمعات الثقافي اعتماداً على التطورية الداروينية ومفاهيمها المتعلقة بالتغيير طويل المدى، تأثيرات البيئة، والعلاقات بين الثقافات مهما كانت بعيدة عن بعضها البعض .

اهتم بنفورد أيضاً بالطريقة التي يتفاعل بها البشر مع بيئتهم، حتى أنه عرف الثقافة بأنها وسيلة للتكيف مع ما هو خارج الجسم، أي البيئة. هذا الرأي يعكس تأثير أستاذه ليزلي وايت عليه.

وقد قام الآثارى الأمريكى لويس بنفورد بنشر مقال عام 1962م بعنوان (علم الآثار الأنثروبولوجيا) يعد التحول الجذري الذي حدث في علم الآثار وقد قام بتقديم اقتراح يتعلق بعلم الآثار الأنثروبولوجي والذي يسمى علم الآثار الجديد او علم الآثار الإجرائي والذي يوضح دراسة السلوكيات وحال المجتمعات في الماضي .

وقد دعا لويس بنفورد الى وضع منهجية بديلة للعمل الآثارى المعهود بدأ من تصميم مشروع البحث الآثارى الميدانى الذي رأى أن يقوم على اسس جديدة تسمح بتناول علمي لإشكالية اثارية جرت صياغتها من معطيات معروفة في الزمان والمكان. ولا يكفي ان تكون الاجراءات الميدانية وجمعه المادة الطبيعية أو الاثرية على أحدث ما توصلت اليه المعرفة الاثرية الحديثة فقط وانما المطلوب صياغة فرضية أو فرضيات حول الاشكالية العلمية المشار اليها. والمطلوب هو اتباع المناهج التي تتيح للباحث قدراً من التأكد من صحة استنتاجاته.(يوسف الامين ص 66)

حيث ساهم بدور فعال في هذا المجال فذهب الى الميدان في الأسكا وعاش مع صيادي الرنة وكذلك درس البوشمن وحضارة الاسكيمو وأقام في معسكرات الصيد سريعة التلاشي واقام مع جامعي الثمار وقد قدم في ذلك دراسة عظيمة تشمل العديد من البيانات والمعلومات التي تعد مرجع اساسي لكل من اراد الدراسة في هذا المجال وذلك من أجل فهم المجتمعات المماثلة التي كانت موجودة في الماضي .

فهو اعتمد الأنثروبولوجيا والذي هو العلم الذي يهتم بدراسة الانسان سواء من الناحية الاجتماعية او الطبيعية ،فمن الناحية الأولى يدرس مظاهر السلوك البشري للإنسان في المجتمعات خصوصاً البدائية في الوقت الحاضر أو في الماضي ان توفرت المعلومات الكافية ،ويهدف من خلال هذه الدراسة الى معرفة البناء

الاجتماعي عن طريق شرح وتحليل النظم الاجتماعية ووظائفها، اما من الناحية الثانية فهو يدرس بيولوجيا او تاريخ الانسان من حيث نشأته ومكانته بين المملكة الحيوانية وتطوره وتوزيع خصائصه البشرية .

ويقول بنفورد نفسه (نحس أن علم الآثار خلال العقد السابع من القرن العشرين يمر بنقطة مهمة في تحوله التطوري)

ولأن بنفورد مثله مثل معظم علماء الآثار الأمريكي جاء من خلفية أنثروبولوجية وليست تاريخية او كلاسيكية لذلك قال ان علم الآثار يجب ان يعتبر علم من العلوم الاجتماعية وينبغي عليه أن يسعى لشرح التجربة الانسانية والقواعد السلوكية التي تحدد سلوك الانسان وليس وصفها فحسب.

ويعتبر تطور علم الآثار الأمريكي الجديد في هذه الفترة جزء هام من تاريخ علم الآثار لذلك يقول غلين دانيال في كتابه مئة وخمسون عاماً من تاريخ علم الآثار (نبعت هذه الحركة الجديدة في أمريكا من السجل الأثري المجدد لفترة ما قبل كولمبس، ولقرون عديدة لم يحدث هناك ما يثير الاهتمام لطلاب تاريخ البشرية لم يعرفوا شيئاً كأستون هنج ولا المعابد المالطية لقد أصيب الآثاريون الأمريكيون بخيبة أمل في ماضيهم الأثري وعندئذ وجدوا الملاذ في النظرية والمنهجية فأمضوا الوقت في الحديث عن تفسير التطور الحضاري وإصدار القوانين المحركة للتطور. (موجز تاريخ علم الآثار ص 247)

في عام 1968م نشر لويس وسالي بنفورد مقال يعتبر الأكثر تأثيراً في علم الآثار الجديد وهو عن التوجهات الجديد في علم الآثار وهو في كتاب اسمه منظور جديد في علم الآثار والذي يضم العديد من المقالات الاخرى.

ومن خلال ذلك نستطيع ان نذكر مجمل افكار لويس بنفورد لمناقشة الأهداف المتداولة لعلم الآثار وهي كما ذكرها كالتالي: *كتابة تاريخ الثقافة 2- التعرف على أوجه حياة الإنسان 3- حركة أو ديناميكية الثقافة. (الأنثواركيولوجيا يوسف الامين ص 63) وهو في ذلك دعا الى النظر الى المادة الاثرية باعتبارها ممثلة للمجتمع ويمكن اعتمادها مجالاً لاختبار فرضيات يضعها الباحث سلفاً لأجل تفسير ظاهرة ثقافية قيد الدراسة .

ويؤمن بنفورد بأهمية الدراسة الاثنوجرافية والتي تعني علم خصوصيات الشعوب، ومجال دراسة الاخلاق والعادات والاديان المعاصرة لمختلف الحضارات

والمجتمعات البشرية التي قامت على ظهر الارض لدراسة المجتمعات المعاصرة باعتباره مصدراً مهماً في الدراسة الأثرية، كذلك تبنى لويس بنفورد ما اسماه نظرية المدى الوسيط (middle range theory) والتي عرفت في علم الاجتماع منذ الاربعينيات للاختبار العلمي للنظريات وللوصول الى نظرية عامة تسمح بالتعميم حول السلوك الانساني ويمكن التأكد منها في الواقع الفعلي.

وقد كتب ستيفن ليكسون مقال بعنوان الميراث الرائع للويس بنفورد وتكلم فيه من خلال كتاب لويس بنفورد (بناء الأطر المرجعية :الطريقة التحليلية لبناء نظرية علم الاثار باستخدام المقتنيات التراثية والبيئية. الناشر جامعة كاليفورنيا بيركلي 2001م)

حيث يقول ستيفن ليكسون في مقاله: لفهم تاريخ الطبيعة للبشر، يجب علينا أولاً أن نفهم كيفية عيش الصيادين وجامعي الثمار، معظم جماعات الصيادين وجامعي الثمار اختفت خلال العصور الماضية. لذا علينا ان نفهم كيف كانت تعيش تلك الجماعات خلال التاريخ القديم. بنفورد في كتابه " بناء الاطر المرجعية" قام بدراسة: العظام، الحجارة، مداخل النار واماكن التجمع التي تحتوي ادلة لأول وجود للإنسان خلال الماضي السحيق.

لويس بنفورد خصص معظم حياته العملية لدراسة اثار الصيادين و جامعي الثمار، واغلب اعماله عنها كانت تتم من خلال التركيز على الحاضر، لذا فقد عاش مع العديد مع الجماعات التي كانت لاتزال تعتمد على الصيد في عيشها و زار و درس العديد من المواقع الاثرية لتلك الجماعات حول العالم. وقد قام ايضاً بجمع وتدوين الالاف من الاحداث التاريخية و القصص التراثية لمجتمعات الصيادين وجامعي الثمار قبل تحول تلك المجتمعات للزراعة. قام بنفورد بحماسة شديدة بتحويل تلك القصص والروايات والدراسات الي نصي علمي ملئ بالتفاصيل كمنظومة بيانات محورها الاول هو طبيعة عيش مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار في الماضي والحاضر و محورها الثاني هو قياس مدى تأثير عوامل المكان، الجغرافيا والطبيعة على نمط حياة تلك المجتمعات في الماضي و الحاضر . في كتابه " بناء الاطر المرجعية " قام بنفورد بمقارنة بيانات طبيعة عيش تلك المجتمعات مع بيانات البيئة المحيطة بها.

ذلك العمل يبدو من الوهلة الاول امرا سهلاً، لكن بنفورد جمع في ذلك العمل: سعة الاطلاع، الدقة العلمية والفكر الاكاديمي و النتيجة هي كتاب ضخم ، كثيف المحتوى، صعب و مليء بالجداول والرسوم البيانية مما جعله منه كتاب مثير للجدل. و قد

قام بتصنيف الكتاب في نقاط معينة سلسلة رقمياً تتكون من 11 مشكلة و 86 مقترح و 126 تعميم.

يعتبر ذلك الكتاب اعظم اعمال بنفورد حول مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار . يذكر عنه قوله ان هذا الكتاب سيعتبر بمثابة الانجيل للأجيال القادمة للطلاب الدارسين لمجتمعات الصيادين وجامعي الثمار. اقتباساً من كتابه في الفصل السابع، النقطة رقم 10 يقول: " كما يقوم القساوسة بالنقل من الكتاب المقدس، لنقوم الان بفتح كتابنا (كتاب مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار) " وفي نفس الفصل من الكتاب يقول : " مع استثناء وحيد، استغلال تلك المجتمعات للنباتات البرية و الموارد المائية يمكن تصنيفه حسب التغيير النوعي للكثافة السكانية ، لكل 100 كيلو متر مربع هناك 48.8 شخص يمكن تصنيفهم كصيادي اسماك و يقابلهم 82.7 شخص يعتمدون في معيشتهم على النباتات البرية " . يبدو ذلك نموذجياً لكن ذلك الكتاب ليس للقراء العاديين ، حتى الفصول المختصرة في الكتاب تعتبر تحدياً صعباً لهم . وكما ذكر ذلك بنفورد لا يوجد شيء سهل بخصوص مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار ، و ان ودراسة تلك المجتمعات بشكل علمي أمر معقد جداً.

ليس هناك فائدة او امل في محاولة اختصار وتلخيص عمل عظيم و موسوعي مثل كتاب بنفورد، العديد من الباحثين سوف يستفيدون من ذلك الكتاب في العديد من الجوانب، حوالي ربع علماء الآثار الامريكان الذين يقومون بدراسة مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار يعتمدون في بحوثهم على ذلك الكتاب، من جهة اخرى ، العلماء المهتمين بدراسة التغير المناخي يمكنهم الاعتماد على نموذج بنفورد حول استجابة البشر للتغيرات البيئية خلال الـ 40.000 سنة الماضية ، واما العلماء المهتمين بدراسة التنمية والاستدامة فيمكنهم استعمال كتاب بنفورد كبيانات اساسية حول طبيعية عيش المجتمعات البشرية في الماضي والحاضر. يعتبر كتاب بنفورد مرجع غني جدا بالمعلومات والبيانات حيث يمكن الاستفادة منه في العديد من المواضيع المختلفة حسب حاجة الباحث فيه.

احد الجمهور المستهدف في هذا الكتاب من قبل بنفورد هم " علماء الآثار" سواء كانوا مهتمين ب مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار او كانوا مهتمين بدراسة الحضارات المتقدمة. تم تأسيس علم الآثار بواسطة علماء و دارسين في مجال : تاريخ الفن ، الدراسات الدينية والكلاسيكية، علم الفلك وعدد اخر من المجالات الاخرى، لكن بنفورد يرى ان علم الآثار هو جزء من علم الانسان"

الانثروبولوجي" وانه يعتبر علم حديث نسبياً لا يزال يطور من اساليبه وادواته لفهم العصور الماضية. هذا الكتاب يقدم كمثال مهم لـ " الطريقة التحليلية لبناء نظرية علم الآثار ".

خلال السبعينات والثمانينات في القرن الماضي كانت نظريات ودراسات بنفورد هي المسيطرة ولها الاهتمام الاكبر في علم الآثار وان معظم النظريات و الدراسات التي تمت كتابتها في التسعينيات كانت ردة فعل لنظريات ودراسات بنفورد او مؤيدة لها. رفض بعض علماء الآثار دعوة بنفورد لجعل علم الآثار اكثر اهتماماً بالإنسان وتاريخه، البعض الاخر من العلماء حاولوا الاستجابة لدعوة بنفورد . من الملاحظ ان اهم الاعمال الناجحة لعلم الآثار كانت تلك تهتم بدراسة مجتمعات الصيادين وجامعي الثمار . انقسام آخر تطور داخل علم الآثار يعكس انقسام اكبر في علم الانثروبولوجيا وعلوم الاجتماع الاخرى مما يجعله علم واسع ومختلف للباحثين فيه. الاقسام القديمة والمختلفة لعلم الآثار في معظم الجامعات قامت بتقسيم نفسها الى منظمات مستقلة ومختلفة تبعا لاختلاف النظريات المتبعة فيها.

قدم بنفورد كتابه " بناء الاطر المرجعية " كاستجابة قوية لأولئك الذين يدعون انه من المستحيل او من غير الضروري بناء اسس علمية لعلم الآثار. قد لا يستطيع كتاب بنفورد اقناع اولئك المعارضين، لكنه سوف يجدد الايمان بعلم الآثار في نفوس علمائه الذين كادوا تحت هجوم العلوم العلمية والحروب الثقافية ان يفقدوا الإيمان به.(ستيفن لكسون ،جامعة كولورادو).

وقد حصل بينفورد على جائزة الانجاز الكبير المقدمة من الجمعية الأمريكية لعلم الآثار ، وتم تكريمه من قبل الأكاديمية الوطنية للعلوم وكذلك حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة ليدين الهولندية .

و من اشهر اعمال بنفورد مشاركته في العديد من المناقشات الاكاديمية رفيعة المستوى مع العديد من اعلام النظريات الاثرية المعاصرين شارك بنفورد في مناقشات مع جيمس ساكيت (James Sackett) حول طبيعة ووظيفة الأسلوب (Nature and Function of Style) فقد اختلف بنفورد مع ساكيت عند حديثه عن الاسلوب الايزوكريستي أو البديهي اللاشعوري الدال على العرقية، والاسلوب المتعمد الواعي الدال على الهوية الاجتماعية.

وقد اعتبر ساكيت isochrestism طريق نحو وسيلة جديدة لمعالجة التباين في الأساليب الانتاجية للقى بينما تمسك بنفورد بالحديث عن الاختلافات الوظيفية للأسلوب كما ناقش بنفورد إيان هودر كثيرا حول الرمزية ومنهجيات دراسة الآثار

والاستفادة من الاثنواركيولوجي ورغم انتماء بنفورد لعلم الآثار العملياتي الا أنه ناقش العديد من القضايا المتعلقة بالعديد من المدارس الأخرى مثل علم الآثار ما بعد العملياتي، علم الآثار السلوكي، ودراسات الأنثروبولوجيا الرمزية.

عرف بنفورد ايضا بتنافسه المحموم لكن الودي مع عالم الآثار الفرنسي فرانسوا بوردس، والذي جادله كثيرا حول تفسير المواقع المستيرية، كان لخلاف بنفورد خلاف مع بوردس حول تفسير الأدوات الحجرية المستيرية ابلغ الأثر في تكوين العديد من أفكار وأعمال بنفورد النظرية، فسر بوردس الاختلافات بين تجمعات الادوات المستيرية بأنها دلالة على وجود قبائل مختلفة كدليل على مختلف القبائل، في حين رأى بنفورد أن التفسير الوظيفي للتجمعات المختلفة من شأنه أن يكون أكثر ملاءمة، عدم قدرته لاحقا لشرح الأدوات المستيرية باستخدام نهج وظيفي أدى إلى اتجاهه للاثنواركيولوجي وتطوير نظرية المدى الوسيط.

على الرغم من الجدل الذي اثير حول لويس بنفورد بين مؤيديه ومناصريه وبين من يخالفونه الا انه ذو تأثير كبير جداً حيث وضع بصمة مميزة في علم الآثار .

المراجع :

الامين، يوسف

الاثنوجرافيا الدراسة الاثارية للثقافة المادية المعاصرة، دار القوافل 1429-2008

غلين دانيال

موجز تاريخ علم الاثارترجمة د. العباس سيد أحمد محمد علي دار الفيصل
الثقافية 1421-2000

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9#.D8.A7.D9.84.D8.A5.D9.86.D8.AB.D8.B1.D8.A8.D9.88.D9.84.D9.88.D8.AC.D9.8A.D8.A9.D8.A7.D9.84.D8.A3.D9.85.D8.B1.D9.8A.D9.83.D9.8A.D8.A9>

<http://www.americanscientist.org/bookshelf/pub/the-legacy-of-lewis-binford> مقال ستيفن لكسون.

http://en.wikipedia.org/wiki/Lewis_Binford

منهج نظريات في علم الاثار د. أزهرى مصطفى 115 اثر